

## الفكر التربوي عند مفكري الاسلام

- قراءة في أعمال محمد الغزالي -

*Educational thought among Islamic thinkers, a reading of the works of Muhammad al-Ghazali*حسين رمضاني<sup>\*1</sup><sup>1</sup> مخبر الدراسات الفلسفية وقضايا الانسان والمجتمع في الجزائر، جامعة ابن خلدون، تيارت، (الجزائر)

HOCINE.RAMDANI@univ-tiaret.dz

تاريخ النشر: 2024/04/24

تاريخ القبول: 2024/02/18

تاريخ الاستلام: 2023/07/30

ملخص: تتناول هذه الدراسة مسألة مهمة في الفكر العربي الاسلامي والمندرجة ضمن قضايا الفكر التربوي، حيث تعتبر التربية من أبرز القضايا التي اهتم بها المفكرون قديما وحديثا، لما لها من أهمية في تشكيل الوعي الاجتماعي والحضاري لأفراد المجتمع، ولهذا تشكل التربية الرابط الأساسي لبناء الحضارة وفق القيم الانسانية والكونية، ومن المشكلات التي تعاني منها الشعوب العربية هو عدم اهتمامها بالمنظومات التربوية وانفصالها عن المرجعيات الدينية والثقافية المؤسسة للحضارة. والموضوع له أبعاد أخرى ترتبط بالجوانب السياسية والتاريخية التي أدت الى انحطاط المجتمعات الاسلامية، في ظل عدم القدرة علة تجاوز فكرة الاستلاب الثقافي الذي يمارسه الغرب، وعليه يقدم أحد رواد الفكر التربوي المعاصرين قراءة في الوضع العام لمشكلة التربية في العالم العربي.

كلمات مفتاحية: التربية، الثقافة، الاسلام، الفكر، الغزالي

**Abstract:**

This study deals with an important issue in the Arab-Islamic thought, which falls within the issues of educational thought. And cosmic, and one of the problems that the Arab peoples suffer from is their lack of interest Educational systems and their separation from the religious and cultural references founding civilization. The topic has other dimensions related to the political and historical aspects that led to the decline of Islamic societies, in light of the inability to overcome the idea of cultural alienation practiced by the West. Accordingly, one of the pioneers of contemporary educational thought provides a reading of the general situation of the problem of education in the Arab world.

**Keywords:** Education, culture, Islam, thought, Al-Ghazali

\* المؤلف المرسل

## 1. مقدمة:

أخذت قضية التربية في الفكر العربي الاسلامي اهتماما كبيرا من قبل علماء الدين والفكر المسلمين سواء القدماء أو المحدثين، حيث اعتبرت من كبريات المسائل الحضارية التي تعنى بثوابت بناء المجتمعات والأمم، الا أن هناك أسئلة كثيرة طرحت حول جدواها ودورها وطرقها. فالتربية مفهوم انساني محض نابع من طبيعة الوجود الانساني العام، ولهذا فالموضوع له توجهات مترامية الابعاد تتعلق بعضها بجوانب مختلفة كتعريفها وضبط مكوناتها واستبيان طرقها ووسائلها. ولعل للفكر العربي الاسلامي بمنظوره التراثي باع في هذا المضمار، إذ لم تخلو فترة من فترات التاريخ الحضاري للمسلمين من آراء ونظريات ومذاهب فكرية وعقدية تناولت مسألة التربية في سياقاتها الفكرية والثقافية والتعليمية؛ واختلاف الاقوال بين أطراف المفكرين والنخب الاسلامية في ظل كل تلك التجاذبات التي شهدتها الأمة العربية والاسلامية قبل أقول شمس الحضارة عن العالم الاسلامي، وبداية الانحطاط الذي أذعن ببداية عهد متردي اتسم بغلق باب الاجتهاد. لهذا كان من المفيد اعادة طرح السؤال التربوي في ظل راهنية الأمة العربية المأزومة تربويا. ليبقى متوقفا على حاجتنا الماسة في اعادة صياغة تصوراتنا بشكل صحيح لكل ما يمت بصلة لمفهوم التربية على العموم، كالإنسان، الوعي، التنشئة، الأخلاق، القيم.. التربية الدينية، التربية الاجتماعية التربية السياسية والمدنية وغيرها وذلك لما لهذه التصورات من دور محوري في تشكيل عرى الوعي الحضاري للمجتمعات العربية والاسلامية. من هنا قد يفترض المتأمل في الوضعية التي آلت إليها الأمة العربية الاسلامية، بأن الانحطاط الحضاري الذي تعاني منه الأمة اليوم إنما هو نتاج تراكمات متعددة، وأن الأسباب الاجتماعية كان لها دور في تردي الوضع الحضاري للأمة خاصة في جانبها التربوي والاخلاقي. وهنا تتجلى لنا إحدى فرضيات الفكر التربوي المتمثلة في أزمة الأمة العربية الاسلامية الثقافية والحضارية هي أزمة تربية بالدرجة الأولى، وعليه فما هي أهم المسوغات التي يمكنها أن ترفع اللبس عن مفهوم التربية وازمتنا الاجتماعية في الفكر العربي الاسلامي المعاصر، وكيف يمكن لنا أن نكشف عن الخلل، وما موقف مفكري الاسلام من التربية ومدى أهميتها في بناء المجتمعات الاسلامية؟

## 2. مسوغات التعريف بالتربية

## 1.2 التربية، المصطلح والمعنى الدلالي:

إن الاسئلة المطروحة حول قضية التربية في العالم الاسلامي، ليست أسئلة استفهامية تطرح من قبيل الترف الفكري وفقط، ولكنها أسئلة تولدت من رحم إشكالية فلسفية كبرى تحتل أكثر من إجابة. في ظل تساؤلنا حول راهن مجتمعنا العربي الاسلامي من مشرقه إلى مغربه الذي أضى بحاجة ماسة لإعادة ترتيب أولوياته الحضارية من خلال احلال نظم أخلاقية وتربوية تتوافق وطبيعته التي تستمد قيمها من أصالة مصادر الفكر الاسلامي القويم. ويمكننا بهذا التصور الاستناد لجملة من المعطيات، والتي ساهمت في بلورة رؤية شاملة ومتكاملة حول مفهوم التربية في الفكر الاسلامي، والخوض في تفصي عناصره

الأساسية المشكلة له في دائرة المعارف والعلوم العربية الاسلامية الأصيلية. دون أن نزع بهذه الرؤية في دائرة الأحكام المسبقة أو ما شابه ذلك، أو مصادرة أي نوع من أنواع الاجتهادات التي بذلت اتجاه هذه الاشكالية التربوية ومدى تأثير مخرجاتها في مجتمعنا العربي الاسلامي.

فمن المهم جدا أن نتعرض لتعريف مصطلح التربية هي العملية التي تهدف إلى تنمية شخصية الفرد وإعداده للمشاركة الفعالة في المجتمع، من خلال توفير الأسس اللازمة لتحقيق التنمية الشاملة للفرد، وتشمل هذه الأسس الجانب العلمي والثقافي والاجتماعي والنفسي والجسدي. وتعتمد التربية على العديد من العوامل والمجالات، منها التربية الأسرية والتعليمية والاجتماعية والثقافية والرياضية. كما تعد التربية أساساً مهماً للتنمية الشاملة للفرد والمجتمع، حيث تساعد على تحسين مستوى الوعي والمعرفة لدى الفرد، وتنمية مهاراته وقدراته، وتحفيزه على المشاركة الفعالة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية. ومن خلال تنمية قدرات الفرد، يمكن تحقيق التنمية المستدامة للمجتمع، وتحسين جودة الحياة للجميع.

لذلك يعتبر تعريف مصطلح التربية أمراً مهماً لفهم دورها في تحقيق التنمية والتقدم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي. فالإنسان وهو ذلك الكائن الاجتماعي بطبعه وجد نفسه منذ فجر الحضارة الاسلامية مسؤول عن مهمتين اثنتين فأما المهمة الأولى فتتعلق بالانخراط الكلي ضمن المجموعات البشرية، بحكم الطبيعة البيولوجية والنفسية، بينما المهمة الثانية فتتمثل في حاجته لتنظيم العلاقات بين الفئات البشرية وفق معايير والتزامات أخلاقية يقوم عليها منهج تربوي معين يسوس هذه المجموعات، قد تختلف مصادر هذا المنهج من مجموعة لأخرى حسب المكان والزمان والمعتقد. من هذا المنطلق نحاول في هذه الدراسة البحث في أوجه الترابط التي كفلها الدين الاسلامي لمعتنقيه فيما يخص ماهية التربية الاجتماعية ومعرفة عناصرها المكونة لها، وما هي أهم مسوغات التأصيل والتجديد في هذه القضية.

#### 1- تعريف اجرائي لمصطلح التربية:

جاء في المعجم الفلسفي للسيد ابراهيم مذكور تعريف لمصطلح تربية: " تنمية الوظائف الحسية، والعقلية والخلقية كي تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتثقيف، وهي علم يبحث في أصول هذه التنمية ومناهجها وعواملها الأساسية وأهدافها الكبرى"<sup>1</sup>

وفي التراث العربي الاسلامي نجد أبو اسحاق الكندي أول من تناول مسألة الفكر التربوي، وحاول أن يبرز اهميته في بناء التصور العام لقيام الوعي المجتمعي من خلال ما قدمه في رسائله التربوية ودور الانسان في حمل الرسالة التربوية الانسانية، والحق أن هذا الفيلسوف كان من فلاسفة الاسلام المنهجيين في مختلف ضروب الفلسفة والطب والتربية وفي جميع المجالات العلمية الأخرى، على حد تعبير الاستاذ وهذه الجوانب تمثل القاعدة الاساسية للفكر التربوي وتطويرة في جميع المجالات الحياتية لتلبية حاجات الانسان ومنافعه العلمية والمعيشية<sup>2</sup> عرّفها الإمام حجة الاسلام أبو حامد الغزالي التربية: "إنها تشبه

الفلاح الذي يقطع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع، ليحسن نباته ويكمل رعيه. وهي غرس الفضائل في نفس الإنسان لكي ينشأ تنشئة صالحة، وقلع للردائل من جذورها باعتبارها غريبة عنه"<sup>3</sup>. والتربية عموماً هي عملية بناء للفرد والمجتمع معا وفق صيغة قائمة على مجموعة مفاهيم عقائدية وأخلاقية محددة، وبالتالي فهي عملية تكيف، أو تفاعل بين الفرد وبيئته التي يعيش فيها، ونعني بعملية التكيف، أو التفاعل مع البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية ومظاهرها، وهي عملية طويلة الامد ولا نهاية لها الا بانتهاء الحياة.

فإذا كانت التربية إسلامية مثلاً فإن مصدرها يقوم بالضرورة على نزل به القرآن وما ورد في السنة النبوية وكذا الاجماع. وهذا ما يمكن أن نعتبره نقطة ارتكاز هذه المنظومة التربوية. رغم أن التربية عامة حسب الباحث فتحي يكن هي: "العملية التي تستهدف بناء الشخصية، أي بناء الفرد والمجتمع، وفق هذه المفاهيم تماماً ومن غير مداخلات أخرى"<sup>4</sup> وإن كانت هذه العملية حسب المفكر فتحي يكن التي تستهدف بناء الشخصية، أي بناء الفرد والمجتمع، يجب أن تكون مبنية على أسس محددة وثابتة، وعلى حد تعبيره فإن التربية تتعين انطلاقاً من البعد الانساني ذاته، وتستلهم روحها من عقدي كان؛ والتي تجعل من الانسان وصياً على الأرض، سواء بتواصله مع الوجود المطلق عمودياً وافقياً؛ أي من منظور علاقته بالمعبود ثم بنظيره الإنسان، في علاقة أشبه ما نقول عنها أنها تشبه تلك العلاقة الترابطية التي تجمع بين التنظير والتطبيق.

## 2.2 خصائص التربية العامة

إذا أردنا أن نتحدث عن الخصائص التي يستغرقها مفهوم التربية، فيمكن أن نلخصها فيما يلي: التربية عملية تكاملية، ذلك أنها تقوم على أساس تعاون أفراد المجتمع كأفراد وكجماعة، هذا من جهة ومن جهة وظيفية فهي تكامل بين الجوانب المادية والجوانب النفسية، وكذا الاجتماعية الإقليمية والأممية. وهي فردية اجتماعية تختلف باختلاف الزمان والمكان؛ حيث أن هذان العاملان يؤثران بشكل كبير في تغير الوسائل التربوية من جهة من جهة أخرى يقوم الزمان والمكان على مبدآن متناظران فالفرد أثناء التربية، سواء كان المربي أو المربي، فإنهما يخضعان للإحساس بسرعة الحركة في المكان، وهو ما يسمى بالزمان بالألف، وهناك إحساس الفرد الشخصي بسرعة حركة المكان، وهو الشعور بالزمن بدون ألف الإشالة. وهذا ما يجعل عملية التربية تختلف من فرد الى فرد، حسب النموذج التربوي المراد تحقيقه في جميع أفراد المجتمع.

وهي عملية إنسانية مستمرة، لأنها تقوم على اساس الوعي الأخلاقي الذي يختص به الانسان دون غيره من الكائنات. وقد برزت من خلال هذه الخصائص أهمية التربية من حيث قيمتها الاجتماعية، هذه القيمة التي تدعو الى تطوير الأفراد والمجتمعات، انطلاقاً من إنماء القدرات الذاتية لمختلف أفراد المجتمع.

ومدى اسهامهم في مواجهة التحديات الحضارية المستجدة في الزمان والمكان. ومن ثم الأخذ بيد الأمة لترسين برامج تربوية بناءة، ذات فاعلية موجهة تخدم الانسانية.

إن التربية الدينية عامل أساسي في تطوير التنمية البشرية للأمة الإسلامية، وضرورة حيوية لتماسك عرى المجتمع في مختلف جوانبه المتشابكة، قوميا وثقافيا ووطنيا؛ فالتربية الاسلامية أصلا ضرورية لبناء الفرد والمجتمع والدولة. وقد كان لهاتين الوظيفتان الأثر العميق في نفوس المفكرين الاسلاميين المعاصرين، ولعل كثيرا ما كان الشيخ محمد الغزالي يقدم أطارحته التربوية في هذا السياق، على سبيل المثال لا الحصر. وهو أحد علماء ومفكري القرن العشرين، الذين انتدبوا للدعوة الاسلامية مطلع السبعينات، وتجسد ذلك في دوره العلمي والارشادي الذي خصص له سلسلة من الحصص الازداعية والتلفزيونية على عهد الثمانينات هذا القرن، على مسامع الجزائريين. إذ لم يتوانى الشيخ المفكر اطلاقا في سوق محاضراته، في عديد المناسبات الفكرية. أين تبرز مؤلفاته القيّمة في مجال الدعوة والارشاد، اهتمامه الكبير المشكل التربوي. وكيف ساهم في بعث روح النقد البناء للواقع المزدرى الذي تعيشه الذات الاسلامية وهوية الانسان العربي المسلم مشرقيا كان أو مغاربي.

ولعلنا لا نشير لأي نزعة فكرية أو حركة مذهبية، تميزت بها هذه المرحلة من تأسيس للفكر التربوي المعاصر، والتي قادها الشيخ إبان بقائه في الجزائر أيام الثمانينات. فقد كان الشيخ محمد الغزالي مدركا لأهمية التربية الدينية ومقوماتها الاجتماعية، من قبيل ما كان يشاهده ويعايشه من تحولات خطيرة ومتسارعة، كانت تضرب بأوصال العالم العربي والاسلامي. كما لا يمكن أيضا أن ننكر الأثر البارز الذي خلفه في نفوس الجزائريين، أثناء وجوده في الجزائر، وتشربه بقيم المجتمع الجزائري. الذي استمد قيمه الروحية من الدين الاسلامي، ومن مبادئ ثورة مظفرة رفعت شعار الجهاد في سبيل الله، امتدت أوصالها من دخول الصليبيين الفرنجة، وحتى مطلع الفاتح نوفمبر 1954.

يمكن القول أن فلسفة التربية عند محمد الغزالي، من الفلسفات الاجتماعية التي كان يرنو الى نشرها بين أوساط الأمة الاسلامية عامة، والمجتمع الجزائري خاصة، إذ تعبر هذه الفلسفة عن فكر عملي، ذو طابع تربوي إرشادي فعّال، يخدم منطق التنمية الشاملة، التي يدعو اليها الإسلام الوسطي والمعتدل. وهو دافع ايجابي للتقدم نحو مصاف الأمم المتطورة حضاريا. وبعيدا عن التحيز والانغلاق داخل زمر قيمية منتجة مسبقا، من قوالب شاذة عن مبادئ الاسلام متشربة بروح الفكر الغربي المتطرف ماديا. وقد كان هذا واقع الثمانينات من القرن الماضي الى حد بعيد، ولو أن الحركات الاسلامية كما يرى محمد الغزالي كانت في مواجهة مباشرة مع الزحف الشيوعي الجارف، وإعصار الليبرالية الفردانية الجامحة.

إلا أنه يمكننا القول أن الظاهرة الثقافية ذات البعد الديني الوسطي، والتي مثلها فكر الشيخ محمد الغزالي بصورة مرحلة امتدت مع قيام دول عربية ذات نظم سياسية حديثة، مشوبة بتبعيات

تاريخية ولدها استعمار هذه البلدان العربية الاسلامية لمدة طويلة من الزمان. ولا شك أن هذه الحركات الدينية التجديدية، قد آتت أكلها من حيث الوعي بالواقع الراهن الذي كانت تعيشه هذه المجتمعات العربية. فقد جلبت الى حد ما الفئات الاجتماعية المتوسطة، وخاصة المثقفة من حولها، إذ شهدت شريحة واسعة من الجزائريين التفافاً حول أفكاره الارشادية المعتدلة، وآرائه الفلسفية المتشعبة بروح الدين الاسلامي السني المعتدل، كما اهتمت بجانب كبير من مواقفه التربوية البناءة التي كانت تهدف إلى درء شبهة التخلف عن المسلم.

ويبدو أن هذه الفلسفة العملية المستوحاة من القرآن الكريم، لم تنشأ من فراغ، بل كانت منبثقة من فلسفة نبوية ثابتة المعالم. متسمة بالمرونة والقابلية للتجديد، لها القدرة على مجابهة أي عصر، مهما شهد هذا العصر أو ذاك، تغيرات متلاحقة وتدفقات كثيرة ومتشعبة. ولعل قناعة فكرية ما تثير رغبة السؤال من جديد، حول طبيعة هذه التربية الدينية الخالصة، التي كان يدعوا اليها شيخنا الفاضل !. هي ما يمكن اعتباره الطريق إلى معرفة معالم هذه النظم التربوية التي ينطوي عليها القرآن الكريم، ويحمل الاسلام شعارها الاخلاقي نبراساً تنقاد اليه كل سبل تقدم الأمة الاسلامية حضارياً. ولا ريب أن هذا ما يجرنا إلى افتراض الوضعية التالية: "إن أزمة مجتمعنا العربي والاسلامي المتفاقمة هي في جوهرها أزمة تربوية، ومن ثم تبدو أهمية المخرج التربوي سبيلاً للخروج من هذه المأزق، والانعقاد من الأسر الحضاري الذي يضره المجتمع الغربي على مجتمعات العالم الثالث؛ فالتربية أساساً هي مشكلة حضارية بدرجة قصوى"<sup>5</sup>

### 3. قراءة في فكر الغزالي رائد الفكر التربوي في الجزائر

#### 1.3 واقع الأمة العربية من منظور تربوي:

لقد استقبلت البلدان النامية - ومن بينها البلدان العربية -، العصور الحديثة، بتركة مشحونة بالتخلف. وقد ذهب الدكتور ثابت قسول في هذا السياق: "بالرغم من كل الجهود التي بذلتها هذه البلدان في معركتها ضد التخلف من أجل تطوير منظومتها التربوية، فإنه يصعب القول أنها استطاعت أن تنفض عن نفسها غبار ما ورثته، أو أنها أصبحت ذات منظومة تربوية عصرية. والاستاذ يرجع شيوع كلمة العولمة باعتبارها المظهر الأبرز لحضارة اليوم، وأن استخدام هذه المصطلح (عولمة) ورد عند بعض الباحثين بعد اجتهادات أدى اليها بحثهم المتواصل لإيجاد مكانة للوعي العربي بين الامم المتطورة، وكأنهم موجودون على الهامش، وبقية الأمم تتموقع في مركز الحضارة. "وحيث أصبح الحوار لا يجدي نفعا بين الشمال والجنوب، وحوار الشرق والغرب، غير مجد، بسبب الهوية التي ألحقها التخلف بين الضفتين، وأصبح الدفاع عن الخصوصية والأصالة والهوية والثقافة، - على حد تعبيره -، رجعيًا، ظلاميًا، أصوليًا، إرهابيًا، متخلفًا، ماضويًا، سلفيًا، بتروليًا، خليجيًا. مع أن الدفاع عن العولمة، إنما يتم بأموال نفطنا، التي تساهم في نمو اقتصاد السوق وشراء أسهم الشركات الأجنبية"<sup>6</sup>

أما الدكتور عبد الله عبد الدائم فيقول: "إن التربية هي مدخلنا الى تنمية شاملة ودرعنا الواقى ضد الاكتساح الثقافي"<sup>7</sup> ورغم ان هذا الامر في ظاهره كما يرى الاستاذ نبيل علي: "لا يمثل سوى إحدى النظم الفرعية في النظام الاجتماعي الكلي، وأنه ليس بوسعها وحدها، تحقيق الخلاص الحضاري الأشمل. إلا أنها باتت رهاننا الوحيد وعالة على عاتق إبداعنا الثقافي والاجتماعي لمسلم القرن العشرين. فالإنسان العربي هو العامل الحاسم إذا أحسنّا تربيته، وهو مصدر التهلكة إن أسأنا تطبيقها"<sup>8</sup> وبالعودة مرة أخرى الى آراء الاستاذ الباحث فتحي يكن فإننا نعتقد البتة أن الدين الدين الاسلامي يبقى الروح التي تحرك الفكر التربوي في حضارتنا، ففي مؤلفه الموسوم بـ (التربية الوقائية في الاسلام)، يشير معقبا على واقع التربية الاجتماعية عند المسلمين في عصرنا هذا، بأنها تعاني الفشل الذريع، والذي نلاحظه من خلال ما اتسمت به جميع الحركات الاسلامية التي أرادت النهوض بالإسلام سياسيا، بدل النهوض به تربويا اجتماعيا، إذ يقول: "إن على الحركة الإسلامية أن تعيد النظر وبشكل جذري في العملية التربوية. يجب أن تتحسس الواقع بما فيه من أمراض وعلل، أن تدرس التجارب التربوية ومدى نجاحاتها. وأن تستيقن من مدى جدارة المناهج المعتمدة، لترى في النهاية إن كانت هذه المناهج تتكافأ مع عملية تغيير الواقع - أفرادا وحركة - والارتقاء به الى المرتجى؟"<sup>9</sup>

من جهة أخرى رأى الامام محمد الغزالي أن هذا الوضع يكاد يكون مستفحلا في جميع أوصال المجتمع الاسلامي إذ ومن خلال ثقيلة فكره المستنير، تأسف طويلا على واقع التربية في البلاد العربية والإسلامية، إذ أن هذا الأخير ليس أحسن حالا من جوانب الحياة الأخرى، ذات البعد الحركي الفعّال في تماسك بنية المجتمعات الاسلامية. حيث لا تزال العملية التربوية حتى اليوم قاصرة وفاشلة على لعب دورها الحقيقي، في قيام المجتمع الصحيح، إذ ليس لها القدرة على تكوين الجيل الاسلامي المنشود في الرسالة المحمدية. والسبب الرئيسي إذا ما حللنا العملية الى مكوناتها الاجرائية، حسب نظريته تعود في الأساس - "والله أعلم - الى أن النظرية التربوية التي يتبناها المسلمون على الصعيد الاجتماعي، تعتمد نمط العلاج لا الوقاية"<sup>10</sup>. من هنا قام الامام محمد الغزالي باستيفاء جانب مهم ضمنها دروسه وخطبه الارشادية، بهدف معالجة المشكلة التربوية، وذلك انطلاقا من تحديد أسباب المعوقات المباشرة وغير المباشرة، وكذا تقييم نتائج غلق باب الاجتهاد، والجنوح بشدة نحو التقليد الذي انتهجه المسلمون فكريا وعقائديا في حياتهم الاجتماعية، وتقلص فعالية الفرد داخل محيطه الاجتماعي، بسبب انحصار الفكر التربوي في تحليل وشرح النظم الوضعية التي أفرزتها التطورات الحضارية و العلمية للعالم الغربي. ويبدو أن أغلب كتاباته حول واقع تردي الأمة الاسلامية، تشير الى انسحاب القيم القرآنية من حياة المسلم العربي، وخاصة ما تعلق بالمحاور الخمسة التي يتوجب على هذا الأخير التمسك بها، وقد أشار اليها جملة وتفصيلا، عندما قال في معرض حديثه عن الاسلام والمسلمين: "إن انحطاط المسلمين ألحق بالحضارات الانسانية خسائر جسيمة، أتاح لعناصر الفوضى والتضليل أن تبلغ غايتها دون عوائق، وما أشك في أن

حساب المسلمين عسير على هذا المسلك. إنهم - لا سيما في هذا العصر- لم يقلوا عن اليهود في إطراحهم للوحي وتنازلهم عن قيمه، وطلبهم للمجد في نزعات عرقية، وطلبهم للتسامي في برامج علمانية ترفض تراث نبينا محمد (صلم)<sup>11</sup>. وللعلمية التربوية هنا جانب مهم من تخلف المسلمين، وانقيادهم تحت سلطة الآخر المغاير لهم في الأصالة والهوية والعقيدة، وهم بهذا بعيدون عن أصول التربية في الاسلام. وهو خلص إليه الاستاذ: (فتحي يكن) الى أن التربية الاسلامية تستهدف بناء الشخصية، بناء الفرد والمجتمع وفق مفاهيم العقيدة الصحيحة للإسلام، ومساوقة للفكر المعتدل ذو المسلك الوسطي القويم؛ من غير مداخلات أخرى. - يقول الشيخ في هذا السياق - : إذا توافر كل ذلك، - أي: توطيد القيم الاخلاقية المنشودة في التربية الاسلامية - كانت شخصية المسلم ممتلئة لمناعة ذاتية، تحفظها من السقوط في المتاهات والانحرافات؛ والوقوع في فخ الأهواء والنزوات<sup>12</sup>

### 2.3 التربية بالقصص القرآني عند الشيخ الغزالي:

يمكن للقصة القرآنية حسب الغزالي أن تكون ملاذا تدعيميا لتلك القيم التربوية، والغريب في الأمر أن المسلم اليوم لا ينتبه إلى القرائن القرآنية التي تبين حالته هذه، في ظل هجره الشرع القرآني وفلسفته التربوية. يشير الشيخ الغزالي في كتابه: (المحاور الخمسة للقرآن الكريم): "لم يعد للقصص القرآني دور في بناء هوية المسلم الدينية، ولا حتى فهم - مسلم اليوم - أن قصص القرآن أداة للتربية، ومصدر توجيه ووعظ يدعم الفرد والجماعة، وقد استرجعها الوحي الأعلى بهدف التعليم والاعتبار"<sup>13</sup>. وهذا الموضوع إنما يمثل المحور الثالث، وقد صنّفه شيخنا في كتابه الارشادي، على أساس منهجي تحليلي جس به مظاهر تخلف الأمة منذ تخلت عن اتباع القرآن والسنة. حيث أشار الشيخ بإسهاب في هذا الصدد، الى أن قصص الماضي أداة توجيه تربوية وقفية من عند الله. يقول: "القرآن الكريم عندما يقص ينفخ الحياة في القرون الهامدة، فإذا هي حية تسعى، نسمع فيها ضجيج العراك بين المحققين والمبطلين. إن شريط الأحداث يتحرك بعيد علينا، بمراحل مضت في تاريخ الدنيا. وقد قرر علمائنا الأجلاء غير مرة، أن قصص القرآن الكريم قبل أن تكون تأريخاً للأشخاص والأحداث، فهي مجلى لعقائده وأدابه، وما شرع من عبادات وسياسات"<sup>14</sup> والقصة من حيث هي عنصر تربية وشارة توجيه، في حياة المسلم حتى يحي كريما في دنياه، وليس عيشة ضنكا كما يصف الله عباده الذين لا يحتكمون الى عبر القرآن. يقول الغزالي: "لا تكون الا مقرونة بحكمة وغاية تضع أما المسلم تفسيرا موضوعيا لسور القرآن الكريم واستبيان البلاغ المبين"<sup>15</sup>. يقول الله تعالى: "وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" (18)<sup>16</sup>. أما أن تكون التربية في الاسلام حسب هذا المنظور، مقرونة بحكمة وغاية. يفصل الغزالي هذه المسألة انطلاقا من عرض عميق لأسباب تقصير المسلمين اليوم، في الالتزام بالبلاغ المبين أي (القرآن)، حيث أفرد لنا بعض الجوانب التاريخية التي ساهمت في تمييع الايمان بين أفراد الأمة الاسلامية. والنماذج التاريخية حسب ما يرى أفصح دليل، على هكذا تمييع للإيمان، تكشفها لنا الحياة القاسية لعلماء الاسلام. كتلك التي روية عن اعتراض

الأئمة المرشدين عن الأوضاع التي آلت إليها الخلافة الاسلامية آنذاك. ولعل ما رواه الدكتور يوسف القرضاوي... يضيف إلى مآسي الأمة الاسلامية أمر آخر، يذكرنا بمظالم الحكم السياسي لدى أمراء والسلطين المتأخرين، وقسوة سلطانهم على الطبقات الفقيرة، وسطوتهم على الكادحين من أبناء الشعب.. وضياح الحقوق في دهاليز الولاة والمستوزرين، ضف الى ذلك تعطيل الشورى واعلاء مساح البرلمان الشكلي وصورية مجالس شيوخ السلطة لا الدين؛ فمن الأحداث التي يضرب بها الغزالي المثال: (تستدعي الوقوف عندها بروية منها، محنة أبا حنيفة النعمان الذي قضى بقية حياته مسجوناً رافضاً التعاون مع الدولة، أو قصة الامام مالك بن أنس الذي ابتعد عن نياشين الدولة آنذاك بأدب، ورأى أن يخدم الاسلام بين عامة الناس دون اشتباك مع الحكام. بيد أن الفتوى التي كانت تقع من هؤلاء الحكام جعلته يعالان ببطلان الأيمان التي تؤخذ لأولياء العهد، فجوزي على ذلك بالضرب حتى كسرت ذراعه! ثم اعتذر الخليفة له بعد ذلك ..!)<sup>17</sup>

ولأزمة الانفصام المزمع بين التربية والسياسية، الذي حدث مطلع الحضارة الاسلامية، يخلص الإمام الغزالي لجملة من الأسباب المباشرة التي أدت الى هذا الواقع المرضي المربك لأفراد الأمة الاسلامية. إذ يقوم الاعتراف كدليل واقعي يعني الحضارة الاسلامية وما آلت اليه من تمزق في الهوية الدينية، إذ أن لهذا الانفصام: "أثار عميقة في تاريخنا الثقافي والسياسي، قد تشرحها لنا قرائن القصص القرآني. وقد تشير الى ذلك الأثر السلبي، الذي خلفته ما عرف عن بعض الأسر الحاكمة في البداية من تعصب للعرب!"<sup>18</sup>

والخصام حسب الدكتور يكن: "كان شبه دائم بين العاملين في الحقل السياسي، وبين العاملين في الحقل التربوي... ولا أرى سببا رئيسيا لذلك إلا أن العاملين في الحقل السياسي، انقطعوا عن المجالات والاهتمامات الشرعية والتربوية - فكرا وممارسة - والعاملين في الحقل التربوي في المجالات والاهتمامات السياسية والاجتماعية - فكرا وممارسة كذلك"<sup>19</sup>. وقد تقاطع هذا الموقف مع رأي الغزالي من وجهة التحليل التاريخي للأحداث السياسية والاجتماعية التي حدثت ابان الخلافتين الأموية والعباسية، في محاولة لتقديم الوجه الشاحب الذي ظهر به المسلمون بعد ان تركوا دينهم ورسالتهم. وبين محاولاته المستميتة للدفاع عن الرسالة المحمدية التنويرية، ودرء بشدة التهم التي ألحقها المبطلون بالإسلام الحنيف، وتبرئته من كل الشبهات التي يحاول أن يلصقها به أعدائه، باعتباره دينا يحمل في كيانه بذرة الخلود<sup>20</sup>. لقد كان الاستعمار شديد الحرص على إخفات صوت الاسلام في معركة البقاء العربي ذاته ..!

وعندما أفلح في تقسيم الأمة الكبرى الى عشرات الأمم فرض على كل أمة وحدها أن تقصي التربية الاسلامية عن برامجها وهي تكون الاجيال الناشئة، وأن تمحو التقاليد الاسلامية في ميدان العلاقات العامة، بل وتقطع الصلة بين قانونها والشرعية الاسلامية. بهذه الضمانات الفاجرة يؤكد الشيخ محمد الغزالي: "أن الاستعمار اطمأن بتلاشي الاسلام في ظل تلاشي التربية الفاضلة والأحكام العادلة، إن الفتن الظاهرة والباطنة التي تلف أحوال الناس في هذا الانحلال، الهائل لا حصر لها ولا حد لضررها"<sup>21</sup>

إن المسلم الصحيح يستمد من قرآنه أمدادا منعشة، كلما دخل في جو نكد! مع الواقع المرير، فعلى حد تعبير فتحي يكن: "بقينا، وسوف يبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها - ثم يختم رسالته التربوية بقوله -، وفي صحوتنا الاسلامية المعاصرة، أذكر قصة أمتنا مع رسالتها على كر العصور، حتى نأخذ العبر ونحسن المسير" <sup>22</sup>. عطفاً على ذلك يتجلى البعث والجزاء عند الشيخ الغزالي، كمحور أساسي في عملية تربية المجتمع الاسلامي. وتنشئة أفراد على منوال الطرح الديني الذي يستمد قيمه التربوية والحضارية من الوحي الرباني. والشيخ هنا يقارب بين الرؤية القرآنية التي يضمنها البعد التربوي الالهي، المنبجس من ثنايا الدلالات التي يتضمنها القصص القرآني، باعتباره رسالة صريحة جاءت لتوجيه الناس دون استثناء، وبين حقيقة الوجود المزدوج لعالمي الأولى والآخرة، الوجود في زمن والوجود في الزمان. وهو محور أساسي لا بد أن يفقهه المسلم، في بناء منظومته التربوية، بل ويمثل هذا الطرح فصل المقال في تقدم الأمة الموحدة على الأرض، وتعمل بالأوامر الالهية الموجهة في دين الاسلام الحنيف للأمم أجمعين.

إن حقيقة البعث والجزاء حقيقة وجودية، تبعث روح التجديد الدائم والتقدم المستمر، في حياة الفرد والمجتمع الاسلامي. وهي جزء لا يتجزأ من ميكانيزم روحاني، يحرك الذات المسلمة ويفعلها قولاً وعملاً. لهذا فإن فهم حقيقة الايمان بالبعث والجزاء ينتهي بنا دون شك الى ذكر المعلم التربوي الفعّال الذي تقوم عليه عملية انتاج الذات، لقيام وعي فردي أولاً ثم يتبعه وعي اجتماعي فسياسي فحضاري، هذا الوعي الذي لا بد له من معين رباني ثابت يقدمه لنا القرآن الكريم، في واحد من مجالاته النضاجة. أين تتجلى غاياته القصوى في ايراد العبر من القصص القرآني في مختلف أطواره. ونضرب مثلاً على قولنا بما جاء في كتاب الله العزيز الحكيم، يقول الله عز وجل في انتصار أصحاب الأخدود، يقول تعالى: "وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمُؤْعَدِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3) قَتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8)" <sup>23</sup>.

أو ذلك الرجل الصالح الذي يأتي ربه يوم الجزاء، شاهداً على عطاء ربه، يقول الله تعالى: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21) وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ (23) إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27)" <sup>24</sup>.

لا شك إذن، أن مؤدى ذلك هو مدى فهم فحوى التوجيه الرباني لخليفته، والذي تبرزه آيات القرآن في هذا السياق القصصي أو ذاك. وبمعنى ما، فإن الوظيفة التربوية التي تستلهم من القصص هو الاعتبار بالدلالات القرآنية ل: ( خلافة الانسان في الأرض جملة وتفصيلاً، وإقدامه على البناء والعمران، وسوسه الحضارة على مر الأزمان ). ولعل هذا ما يدعونا الى ان نخلص مبدئياً الى أن قصص الأنبياء، ينطوي على معايير أخلاقية خلاقة، تشغل جانباً مهماً في ميداني التربية والتشريع. وهو ما يذكره في الشيخ

في محور من محاور القرآن: ( دور الربانية لا الرهبانية )، " باعتبارها أس الإنسانية وحقيقتها ووظيفتها، وتحركها في نطاق الحق والخير. فالله خص عباده بمنظومة أخلاقية موضونة في الآيات الربانية، تخلص من الظمأ الروحي والقلق النفسي الذي يعيشه الانسان الجيران الذي تعطل ضميره بالخلو من التدين "25. يقول الغزالي في هذا المنوال " إن أساس الكمال عقيدة صحيحة، فإذا كان المعتقد باطلا، كان البنيان على شفا جرف هار، والاعتقاد الصادق إن لم يدفع الى التسامي، ويتطلع الى الطهر، فلا خير فيه!"26. ثم إن التربية الصحيحة لا تكون الا على هذا الاساس، " بحيث تقوم على وعي عام بغايات الوجود، ثم على وعي مفصل بمعالم الكمال التي أسهب الدين في شرحها، ... من هنا كانت التربية الناجحة مهمة شاقة، وكانت صناعة الانسان من أعقد الصناعات في هذه الدنيا "27.

من هنا وفقط يتبدى لنا مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدة أخلاقية ذات قيمة تربوية مستمدة من شروط الايمان الصحيح، إذ لابد من اعادة فهم الأطروحة العقدية التي تؤسس النظام الديني للاسلام جملة عامة. حيث يقول الله تعالى: " مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ " (79) "28.

إذ تستلهم الآية روحها الربانية من قصص الأنبياء ودورهم في الحياة الإنسانية فردا ومجمعا، ويقوم عمادها الوجداني وفق آية استخلاف الانسان في الأرض. والمحنة على ذلك تكمن في شرح دور الانبياء والأديان، بشكل عام في ساحة الاجتماع الانساني. وربما ما يقدمه الشيخ محمد حسن قدان قراملكي في دراسة خص بها هذه المسألة، أحوال الناس جميعا هي عدم توفرهم على معرفة كاملة بالمبدأ والمعاد وما بينهما. ويضيف على أساس ذلك سعي الأنبياء في تهذيب الفكر الانساني مما علق به من شوائب الخرافات ولوثها، فهذبوا سلوك الانسان وطريقة عيشه29.

إن قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما مؤسس فقها على مستوى الأوامر والنواهي الشرعية، فإنه يعمل في مستويات حياتية شتى على حسب المنوال الاجتهادي الذي يمكن أن يستنبط من كل قياس شرعي لمسائل العبادات و المعاملات.. ولربما الدور المناط بهذه القاعدة، هو دور فكري محض ينتجه المبدأ الكلي للايمان. حيث يلحق أوائل أباء المتكلمين مبدأ الأمر والنهي بأصل من أصول التوحيد، وليس البحث عن دور الدين والأنبياء، موضوع بكرة، فقد بحثت فيه فرق الكلام القديم في منحى وصوب، لكن أن يستبدل الدين بأحد العلوم الأخرى كعلم الاجتماع و علم النفس وغيرها من العلوم، هو ما صار شغل المهتمين بالدراسات الدينية، وصارت المسألة من أمهات مسائل علم الكلام الجديد، الذي يعني بإمكان منافسة هذه العلوم للدين واستبداله بها.

يبدأ دور الانبياء حينما يبدأ التحول، الذي يحدثه الدين في الأفراد أو المجتمع. حيث تنتقل المعرفة كإنتاج عند الانسان من الحس والتجربة، الى العقل والاعتبار. فالحواس هي الوسيلة الأولى التي تسمح

باكتشاف العالم المحيط به، ثم بعد ذلك تتطور مدركاته حتى يبلغ بها مبلغ العقل والتجربة والعرفان، وكلها روافد معرفية تصب في فيض القرآن الكريم. هذا الفيض الالهي الذي يضيف على القيم الأخلاقي معيار الثبوت والمطلقة وبالتالي قداسة الأحكام الأخلاقية.

ويضرب المفكر مثال توضيحيا في هذا المجال يقول: تقضي قاعدة الحسن والقبح العقليين التي يؤمن بها الامامية والمعتزلة، بأن الانسان قبل الدين ونزول الوحي على الانبياء قادر على تشخيص ومعرفة بعض ملاكات الحسن والقبح بشكل عام، ثم يستثني عدم الملازمة بين الكلام المذكور وبين دعوى استغناء الانسان عن الدين واستقلاله بالعقل وحده في معرفة معايير الأحكام العقلية وتطبيقاتها، ذلك أن ميدان العقل هو الأحكام الكلية العامة، وهو عاجز عن إدراك التفاصيل والجزئيات وتطبيق المفاهيم على المصاديق<sup>30</sup>. ولنا في الآية الكريمة ما يدل على حاجة العقل للدين حتى يستوفي شروط الرشد ونتاج معرفة صائبة في الوجود الانساني، يقول الله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216))<sup>31</sup>.

فإن من واجبات المسلم قطعا، أن يلتزم بما يحبه الله وينتهي عند حدود ما لا يحبه، فالله يحب التوابين ويحب المتطهرين، كما يحب المتوكلين والمقسطين والمتقين، الذين يقاتلون في سبيله صفا، يأمرنا أن نكون من " الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين "، إن الله ينهى عن الضعف والاستكانة ويبشّر بالصبر " وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين "<sup>32</sup>. والباري لا يحب المعتدين، ولا يحب من كان مختالا فخورا، ويبغض الجهر بالسوء من القول الا من ظلم؛ ولا يحب من كان خوانا أثيما، ولا المسرفين الفرحين، ولا المفسدين من الكافرين الظالمين، كما لا يحب الخائنين، ولا المستكبرين.

إن غاية التربية الاجتماعية في نظر الغزالي هي صياغة النفس الانسانية وطبعها على الحق والخير والجمال، وتحقيق مجتمع فاضل، والوسيلة التي تعتمد عليها هذه الفلسفة في تحقيق غاياتها هي التربية الدينية الصحيحة، أي تعريف الانسان بماهيته الخيرة، وبالأخلاق التي توجهه نحو طلبها. لأن الانسان روح وعقل يسيطر على الحس بملكة تدبيره، وأن القوانين العادلة صادرة بالضرورة عن العقل ومطابقة للطبيعة الحقّة، وهي صورة من قوانين غير مكتوبة رسمها الله في قلوب البشر، والانسان يريد الخير دائما ويهرب من الشر ضرورة، والعلم بقوانين الالهية فضيلة و الجهل بها رذيلة.

إذن القيم الأخلاقية للتربية في الاسلام مطلقة وغير متغيرة، فالخير والجمال والحق ليست من صنع الانسان، بل هي حقائق ربانية مطلقة، نستمدّها من طبيعة الكون وخالفه. والتربية الاجتماعية هي في الأصل عملية أخلاقية، يبذلها الجيل القديم لنقل الحقائق الثابتة من عادات وعبادات طيبة للحياة، ونقل للحكمة للحياة العاقلة عندما يحين وقت ظهورها. ولعل من أهداف هذه التربية بناء شخصية مسلمة تشعر بالولاء لقيم دينها، وتحقق وحدة مجتمعيها عن طريق هدم روح الفردية السلبية على حد تعبير الدكتور عبد الله عبد الدائم<sup>33</sup>.

إن ما يستحق التوقف عنده في قضية التربية الدينية التي تتضمنها أطروحة بعثة الأنبياء ذكر بعضها من قصصهم، هو الهدف الأصيل والذاتي للبعثة ونحن نعتقد أن الهدف هو الأخذ بيد الانسان للرقى به في مدارج الكمال المعنوي والفلاح والقرب الى الله، من هنا ينتهي الدكتور القراملكي الى أن الأنبياء عملوا على تأسيس الاجتماع الانساني والقيام بدور التعليم والتربية فيه ليتعلم الانسان أصول التركية وضوابط العدالة وكيفية إجرائها<sup>34</sup>.

في إطار العام لعلاقة التربية بالتنمية، اكتسبت التنمية دلالة الحل السحري لقضايا المجتمعات الانسانية، ومشكلاتها ولخاصة عندما وضعت أدبيا التنمية في إطار ما يسمى بالبلدان المتقدمة مقابل البلدان (المتخلفة)، أو النامية. وأكدت أن الفرق بين المجموعتين، هو نجاح التنمية في الأولى وقصورها في الثانية، هكذا يعيش الانسان في هذا العالم بواقعية مع ادراك ذاته وموقعيته من المنظومة الإلهية كخليفة. زوده الله بعناصر ذاتية هي: الفطرة والعقل والنفس وعنصر يستطيع أن يراعيها، ويجعلها أكثر قابلية ودينامية وهي اللغة التي تعتمر في صدره وتجعله كائنًا مفكرًا؛ يستطيع أن يقول بلحظة، أنا أفكر فإذا أنا موجود.

إنها القيم الفاضلة وما تفعله في توجيه سلوك المرء، أو كما يشير المفكر ( كالمز ) الى أهمية القيم في مجال إرشاد الآباء والأمهات في تنشئة الأبناء من خلال أساليب المدح والثناء على القيم الايجابية بواسطة مدعمات عيانية تناسب العمر الزمني للأطفال " <sup>35</sup> من خلال هذا فقط يخاطب الله حسب رأي الدكتور أحمد ماجد، الانسان المسلم ويجعله يعيش حقيقة ذات ، كما أرادها الله من خلال دينه الذي أنزله الى الناس، وأتمه من خلال القرآن الكريم، الذي يخاطب الفطرة والعقل والروح <sup>36</sup>.

وبالتالي فإشباع الحاجات الأساسية والقدرة الانتاجية الذاتية مع الاستمرار تشكل في مجموعها المفهوم الأنسب للتنمية. فهي: " العملية المجتمعية الواعية المتوجهة نحو إيجاد تحولات في البناء الاقتصادي – الاجتماعي، تكون قادرة على تنمية طاقة إنتاجية مدعمة ذاتيا، تشاهم في تعديل نظام القيم والاتجاهات بما يتناسب والطموحات التنموية، في المجتمع، ومن ذلك تعزيز قيمة العمل والنتاج، ودعم الاستقلالية في التفكير والموضوعية في التصرف، ونبذ الاتكالية والزعة الاستهلاكية واطلاق الطاقة الابداعية للفرد بتنمية قدرته على الملاحظة والتجريب والتحليل والتطبيق وتأكيد دور الفرد في المساهمة في بناء مجتمعه، وضرورة <sup>37</sup>.

#### 4. خاتمة:

إن ما تعانيه الشعوب الاسلامية اليوم من اغتراب أممي، ليس الا نتاج ذلك الشرخ التاريخي الذي أحدثته أطروحة المركزية الأوروبية، مما بات يشكل عائقا يفصم المسلمين عن قيمهم الحضارية. فاصبح وعي المسلم بوجوده لا يعبر إطلاقا عن دازين ذاته بمعنى الوجود هنا، ولا بمعنى الوجود هناك دازين

ماضيه الأول. من هنا كان الانحطاط والتواري خلف ربق الوعي التاريخي، لصالح التخلف العلمي والثقافي، والسبب على ما يبدو في هذا الرأي جلي للعيان، إذ يظهر في مدى انسحاب مفهوم التربية الدينية السمحة من قاموس وعي الأمة، كمعطى قيمي خاصة، ولعل التاريخ يبرز بوضوح أن من فقد قيمة الدين، فقد معها أيضاً قيمة الانسان.

في الأخير إن الوعي الاسلامي الراهن يلتف في عباءة الطقوس الدينية المتزمتة، بصورة دراماتيكية تبعث على الاسف لما آلت اليه الحضارة الاسلامية من انحطاط بعدما كانت هذه الاخيرة رائدة في العلوم الطبيعية والانسانية، ولعل هذا ما أورث الأمة انسلاب الذات المسلمة في غمار إيديولوجيا المركزية الغربية. وكأنه القضاء والقدر. وهكذا فإن المتغيرات الحضارية المتتالية والمتسارعة، بدأت تشكك في قيمة المعارف الانسانية قاطبة، بل وأمسّت بشكل أو بآخر تهز الضمير الديني، لتسأله بعنف: كيف المسير؟، وإلى أين المصير؟. ولما العبث يقيمنا التربوية، والركون إلى تغليب منطق التقليد على منطق الابداع والاجتهاد؟.

## 5. قائمة المصادر والمراجع:

- ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، مصر، دط، 1983، ص 43.<sup>1</sup>
- محمود عبد اللطيف، الفكر التربوي عند الكندي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2012، ص 124.<sup>2</sup>
- 3 - أحمد محمد الطيب، أصول التربية، المكتب الجامعي الحديث، ط1، الاسكندرية، مصر، 1999، ص 246 - 247
- 4 - فتحي يكن، التربية الوقائية في الاسلام، مؤسسة الرسالة، ط07، 1997، بيروت، لبنان، ص 20
- 5 - ثابت قسول، المغرب العربي بين أفاق التربية والتحديات: العولمة الحقيقة والأبعاد، مقال: مجلة الحوار الثقافي، العدد ربيع وصيف، 2013، ص 45.
- 6 - المرجع نفسه، ص: 45- 46
- 7 - عبد الدائم عبد الله، نحو فلسفة تربوية عربية، مركز دراسات الوحدة العربية، 1991، بيروت، لبنان، ص 22
- 8 - نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة، الكويت، العدد 76، ص: 115.
- 9 - فتحي يكن، التربية الوقائية في الاسلام، المرجع السابق، ص: 08 - 19
- 10 - المرجع نفسه، ص: 23.
- 11 - هذه العبارة مقتبسة من حوار ألقاه الشيخ محمد الغزالي أثناء إلقائه إحدى المداخلات العلمية بعنوان: ( مسار الفكر الديني في تراثنا )، التي ألقاها بمناسبة الملتقى الدولي المنعقد من طرف معهد الدراسات الاستراتيجية بالجزائر، عام 1987
- 12 - فتحي يكن، التربية الوقائية في الاسلام، المرجع السابق، ص 20
- 13 - محمد الغزالي، المحاور الخمسة في القرآن، دار الشروق، دط، دس، الجزائر، ص 120
- 14 - المصدر نفسه، ص ص: 123 - 124.
- 15 - المصدر نفسه، ص 124.
- 16 - نفسه، ص: 125.
- 17 - نفسه، ص ص: 110 - 112.
- 18 - نفسه، ص: 156.
- 19 - فتحي يكن، التربية الوقائية في الاسلام، المرجع السابق، ص 20

- 20 - محمد الغزالي، حصاد الغرور، ص 91
- 21 - محمد الغزالي، المحاور الخمسة في القرآن، المصدر السابق، ص ص 157 - 158
- 22 - فتحي يكن، التربية الوقائية في الاسلام، المرجع السابق، ص 20.
- 23 - سورة البروج، الآيات رقم: من 01 الى 08.
- 24 - سورة يس، الآيات رقم: من 20 الى 27
- 25 - الغزالي، المحاور الخمسة، المصدر السابق، ص 163.
- 26 - المصدر نفسه، ص 164.
- 27 - المصدر نفسه، ص 167.
- 28 - سورة آل عمران، رقم الآية: 79.
- 29 - محمد حسن قدران قراملكي، الأنبياء ودورهم في الحياة الانسانية فردا ومجتمعاً، تع: محمد حسن زراقط، مجلة المحجة، معهد المعارف الحكيمة للدراسات الدينية والفلسفية، العدد 18، 2009، ص 27.
- 30 - المرجع نفسه، ص ص 27 - 28.
- 31 - سورة البقرة، الآية رقم: 216
- 32 - سورة آل عمران، رقم الآية: 146.
- 33 - عبد الله عبد الدائم، تاريخ التربية القديم والحديث، المرجع السابق، ص 13.
- 34 - محمد القراملكي، دور الأنبياء، المرجع السابق، ص 46.
- 35 - عبد العزيز عبد الله الجلال، التربية اليسر وتختلف التنمية، ( عالم المعرفة ) العدد 91، 1990، الكويت، ص 12- 14.
- 36 - احمد ماجد، اللغة الانسان الدين، مقال: مجلة المحجة، المرجع السابق، ص 78.
- 37 - عبد العزيز عبد الله الجلال، التربية اليسر وتختلف التنمية المرجع السابق، ص 14